

الانفتاح المعرفى والمناهج الدراسية

- ١ - المناهج وأنسنة الإنسان.
- ٢ - التدريس التقدّمى فى عصر المعرفة.
- ٣ - التقويم البديل هدف تربوى.
- ٤ - التدريس الجيد والذكاء الإنسانى.
- ٥ - ملفات الإنجاز للتدريس والتقويم.

أولاً - المناهج وأنسنة الإنسان

تزداد قيمة النزعة الإنسانية في عالم اليوم شماله وجنوبه على حد سواء، حيث تسود قسوة الهيمنة الأميركية الضاغطة على كل جبهات الرفض والمقاومة والاختلاف الثقافي، وحيث تسود نزعة عسكرة العولمة وتوحشها، ويقوى كل ذلك ترسانة فكرية تحاول تأسيس المشروع لهذه النزعة، وحيث تضع الإسلام والعروبة في مواجهة أسلحة حديثة متطورة للدمار بعد إصاق الإرهاب والعنف بسماء الشرق مهبط الديانات السماوية والحضارات وهذه المعطيات تضغط بشدة على التربية قبل التعليم في إطار الدعوة لتأهيل المجتمع العربي الإسلامي بمراجعة الخطاب الديني والمقررات الدراسية لتخفيف عناصر الهوية وخلخلة الذاكرة الوطنية العربية.

وهنا لابد من أهمية طرح النزعة الإنسانية باعتبار أن معرفة الإنسان وفهمه هي محور العمل التربوي ونقطة البداية والوسط والنهاية ليصب هذا المسعى في محيط الجهود التربوية والتعليمية ومسيرة تطوير التعليم المتنامية بجناحيها الجامعي وما قبل الجامعي.

إن ما يتوجب علينا أن نلتفت إليه وندعمه في برامجنا التعليمية والتربوية هو أنسنة الإنسان والسعى لمصالحة الإنسان مع نفسه بطريقة عملية تتحد سياسياً وتتجسد في نظام أخلاقي معاش على أرض الواقع كما تجسد في نظام اقتصادي قوامه العدالة والمساواة. إن النزعة الإنسانية التي نشدها في تعليمنا تؤمن بقدسية الإنسان وكرامة الإنسان، وقد أغنى الإسلام النزعة الإنسانية بإيلائه الإنسان مفهوماً وكياناً ومسئولية وحماية أولى في أولوياته الكبرى والحاكمة.

النزعة الإنسانية التي يجب أن نضغط عليها في مسيرتنا التعليمية هي بُعد محوري في التفكير والاعتقاد، وجدل مستمر يحتوى داخله وجهات نظر مختلفة في نطاق موضوعات التفكير حول استكشاف الإنسان لنفسه وإثراء الخبرة الإنسانية، ويصبح الحوار الأسلوب المنهجي الغالب على الجوانب المختلفة للخبرة الإنسانية، كما تتضمن الحوارات القناعة بأن الفرد الإنساني ذو قيمة في حد ذاته، وأن احترام هذه القيمة هو مصدر كل القيم الأخرى. إن هناك مبدئين رئيسيين في الإنسانية: الأول أن غاية التربية هي تنمية كل القدرات لدى الإنسان، والثاني أن الطريقة الأساسية لتحقيق ذلك هي إقامة علاقات إنسانية بين المعلم والمتعلم. ويترتب على ذلك أن نسأل أنفسنا نحن التربويين هل يمتلك الفكر التربوي والتعليمي الذي نقدمه للنشئ والشباب الوسائل العقلية والثقافية وكذلك الحريات والأطر التي لا بد منها من أجل تشكيل فلسفة حديثة للإنسان؟ إن النزعة الإنسانية التي تغذى مناهجنا التعليمية تقوم على الأنسنة في حد ذاتها بداية جديدة تجعلنا أمام مدخل مزدوج لمفهوم الإنسان شقه الأول حيوى طبيعى والآخر نفسى اجتماعى وثقافى، وكلا المدخلان يميلان إلى بعضهما البعض الآخر. إن النزعة الإنسانية تشكل شرطاً حاسماً لتربية جديدة مؤسسة على ركيزة إنسانية تبين بجلاء كيف أن الحيوانية المبدعة والإنسانية تحددان معاً شرطنا الوجودى.

إن ثمة مشروعية للالتفات بموضوعية وحيادية إلى الفكر الإسلامى حضارى التكوين لرد الاعتبار إلى الذات في وجه حملات التشويه والتفكيك الغربية والأمريكية والتي دخلت منطقة العداء الصريح والتآمر المتعمد والتي تعززها ترسانة مسلحة حديثة وترسانة أيديولوجية تربط الإسلام بالإرهاب وتربط العروبة بالتعصب، ومحاولة فهم روافد الإسلام للنزعة الإنسانية معناه المساهمة في إخصاب النزعة الإنسانية عالمياً وتصحيح المدرك المغلوط عن الإسلام والعروبة. إن المعطيات الجوهرية للرؤى الكونية للإسلام هي المصدر الأساسى لاستقامة الحقوق الإنسانية، والتي يمكنها أن تسهم في تأسيس نزعة إنسانية معاصرة تقوم على مبدأ

واحدية الله، وبالتالي تشتق منه مبدأ واحدية الكائن الإنسانى، ثم مبدأ كرامة الإنسان وخلافته لله تعالى على الأرض، ومفهوم المساواة بين كل البشر، ومفهوم العقل أعدل الأشياء قسمة بين البشر.

إن التربية مطالبة باستيعاب الروافد الفكرية الخصبة التى تغنى نظريتها وممارستها اليومية، ونقد الروافد الإسلامية والاستفادة منها فى إغناء الفكر التربوى التعليمى، والعودة إلى الجهاز العقلى للفكر الإسلامى فى عملية نقدية واعية يترتب عليها إما أن يسهم المسلمون بشكل مبالغ ودون أى تحفظ أو رقابة قمعية فى التشكيل الجماعى لنزعة إنسانية كونية تسهم فيها تراثات الفكر وثقافات العالم، وإما أن تشهد تصلباً أيديولوجياً للعقل السياسى الدينى الذى يؤسس السياسة والأخلاق على تصلب دجماييقى لا يتعرض أبداً لأى مناقشة نقدية أو مراجعة فكرية. وعليه فإن تعليمنا لا بد أن:

- يقدم أفكاراً للنشء والشباب هى فى جوهرها مستقبلية تتخطى حدود الزمان وحدود المكان.
- يتجاوب مع همومنا العصرية، ويضيف إلى أسئلتنا نحو المستقبل شهوة التغيير، والتمرد على الثابت الجامد، والانفتاح على الماضى والآتى، فيها ما يمكن أن ينتقل بالإنسان من قيد التقليد إلى فاعلية الاجتهاد، ومن الانغلاق على النفس إلى الانفتاح على الآخر.
- يزود المتعلم بإرادة دائمة من خلال منهج معرفى يتحد بالتيارات العامة للأوساط الفكرية فى عصره، وبإرادة التغيير والقدرة على تذليل الظروف القائمة والعارضة فى مجتمعه.
- ويحصن المتعلم بنسق فلسفى مستقل يجعله صاحب موقف فلسفى منفتح بفضل نزعة نقدية واضحة، يطرح الأسئلة التى تحاول هز الواقع وتبحث عن إجابات متعددة للمسألة الواحدة.

- ويدربه على فن السؤال، فالسؤال منهج تربوى غنى منذ سقراط وحتى اللحظة التربوية الحاضرة، فالسؤال يولد سؤالاً، والحوار يثرى العلاقات بين القضايا والأفكار. والسؤال منهج غائب فى تربيتنا وتعليمنا، حيث تسيّد ثقافة التلقين والإجابات الجاهزة والعقول الاجترارية المتشابهة على المستوى العربى. وعليه فإن السؤال أداة ضرورية لتنشيط التعليم، وإحداث هزة حقيقية يمكن أن تخلص التعليم من بعض جوانب أزمتة.
- مناهجنا لابد أن تقوم على الإنسان، وعلاقة الأنا بالآخر وصياغة معادلة مشتركة للتعايش بين الإنسان وأخيه الإنسان دون النظر إلى عنصريّات وثنائيات آن لها أن تسقط وتزول.
- ومناهجنا لابد أن تؤكد على أراضية مشتركة للحوار الإنسانى الذى يفضى إلى شراكة خلاقة تقوم على احترام الإنسان بما هو إنسان، وتنتج حواراً ثقافياً لا صراعاً حضارياً تصادمياً ونحن نعيش مناخ السخونة العسكرية التى تتجهها الهيمنة الأمريكية على مستوى العالم، وتوحش حركة العولة التى تقوم بالإقصاء والتهميش للآخر اللاغربى.
- ومناهجنا لابد أن تقوم على الرؤية الفلسفية للنزعة الإنسانية لتسهم فى السعى المشترك لإقامة حوار بين الأمم والجماعات البشرية، وتعزز تربية أخلاقية، وتصور إنسانى للفرد يرد للإنسان اعتباره وماهيته العربية الإسلامية المفقودة ذلك إذا اعتبرنا التربية قوة المستقبل الأساسية، ورافعة التقدم الإنسانى والمعنية بتشكيل إنسان والتأسيس على ماهيته الإنسانية لأنشطة الإنسان العربى المسلم.
- إن مدخل النزعة الإنسانية الذى يجب أن يقوم عليه تعليمنا لا يزال مهملاً بين مداخل عديدة تجريبية وتجريدية ونفعية، هو مدخل تربوى حضارى يتمثل فى مسعى التربية نحو تأسيس عقل جديد يقوم على احترام الإنسان وكيونته وحقوقه مما يخفف من حالة الاحتقان السياسى والحضارى المعاصر، وتأجج الفكر العنصرى

والمتعصب في الغرب وأمريكا ضد الثقافة العربية الإسلامية والإنسان المنتمى إليها. واحتفال تعليمنا بالنزعة الإنسانية يؤكد بوضوح على مدخل فكري في التنشئة وتبني ثقافة السؤال والتربية القائمة على الحوار والعقل النقدي.

إن مجال العمل التربوي القائم على أنسنة الإنسان يشكل أحد جسور الحوار الثقافي بين أبناء الدول في قرية صغيرة مسامية الجدران، وبالتالي فإن التعاون الدولي في مجال التربية يسهم في التخفيف من الصراع الحضاري المستمر. وهذا التعاون ينطلق من الإطار القومي العربي إلى الإطار الجغرافي الإفريقي، والروحي الإسلامي ثم يمتد إلى الإطار الإنساني مع الآخر الغربي، كما يشمل مختلف المراحل والأنشطة، وهو دعوة إلى التفكير في بعض المقررات والمدارس والكليات الجامعية المشتركة التي يمكن أن تمثل نموذجاً للحوار الثقافي بين المجتمعات المختلفة، كما يمكن للمنظمات الإقليمية والدولية أن تسهم في هذا التبادل الثقافي. إن التأكيد على أن الإبداع المجتمعي وإطلاق القوى والطاقات لدى الأفراد يمتد من العام إلى الخاص، ومن المجتمع إلى التعليم، ولذلك فإن تعميق المشاركة السياسية والإصلاح السياسي والحقوق الديمقراطية في المجتمع لا ينفصل عن التربية الإبداعية داخل أسوار المدرسة والجامعة.

إن النزعة الإنسانية في التجربة العربية الإسلامية تقدم إمكانية خصبة لتطوير العمل التربوي نحو آفاق أرحب تتعلق بسمو الحرية والعقلانية، وتدعيم الرؤى الثقافية المتسامحة إلى الآخر الغربي وإبراز إمكانات الحوار بين الشمال والجنوب، وإدانة الهيمنة والعنصرية، وإغناء طرق التدريس بثقافة السؤال، والسؤال الفلسفي والأساليب الحوارية ومواقف الجدل في مقابل التعليم القائم على الاستظهار والاجترار والتي تضعف روح النقد، ويمكن التوسع في التعليم الحوارية في مختلف المراحل التعليمية داخل الصف وخارجه وهو ما يمكن أن يدعم قيم النسبية والتعددية واحترام الرأي المخالف. إن التركيز على تعليم جديد قائم على النزعة

الإنسانية يحقق التكامل مع إنسانية المتعلم إنسانية المعلم، وهو ما يعنى الرقى بالمعلم إعدادًا وتدريبًا وممارسة، وتدعيم مكانته المهنية ومشاركته النقدية فى تطوير عمله ومهنته ومجاله الحيوى، وتشجيعه على السؤال المستمر والمتجدد حول طبيعة عمله ومنطق مهنته، وتشجيعه على القيام بالبحث العلمى النقدى، ويتم هذا كله النظر بإيجابية فى المكانة المادية والاجتماعية للمعلم تحقيقًا لإنسانيته وتقديرًا وتقديرًا لرسالته فى بناء البشر وصناعة الإنسان فى الألفية الثالثة.

إن ممارسة التدريس الديمقراطى ترتبط بحرية الطلاب، كما ترتبط بالثقة فى الذات. وهذه الثقة فى الذات هى التى تعبر عن نفسها فى تأكيد فعل أو قرار يتعلق باحترام الحرية واستقلالية الطالب، وقدرته على مناقشة مواقفه الخاصة، وفى انفتاحه على مراجعة ذاته والمواقف التى تمسك بها من قبل. وتتضمن السلطة الوائقة من ذاتها التى يتمتع بها المعلم الكفاءة المهنية. فلا سلطة للتدريس دون كفاءة، واختيار المعلم وممارسته الديمقراطية من الأمور التى تحددها الكفاءة العلمية. بمعنى أن عدم الكفاءة العلمية يدمر السلطة الشرعية للمعلم.

إن ما تتطلبه سلطة المعلم فى سياق حرية الطلاب هى التواضع والعطاء، وهو ما يولد مناخ الاحترام الذى يحقق العدل والجدية وهو المكان الذى يتحول فيه التعليم إلى خبرة تربوية حقيقية. كما أن البيئة المتساهمة تولد الإبداع وتنمى روح التدوق والمغامرة المحسوبة. والسلطة الديمقراطية المتسقة مع ذاتها التى تقوم على الحزم مع حرية الطلاب تكرر نفسها لبناء الانضباط. إن الحرية ضرورة وتحد دائم وحتى حرية التمرد لا يمكن النظر إليها على أنها إخلال بالنظام، لأن السلطة الديمقراطية المتسقة مع ذاتها تحمل اقتناعًا بأهمية الانضباط الحقيقى الذى يظهر فى أنشطة طلاب يواجهون التحدى، ومعلم يمتلك الكفاءة المهنية والفاعلية.

إن المهمتين الأساسيتين للمعلم الديمقراطى هما: أن يحتفظ للطلاب باحترامهم وألا يفصل بين التدريس والتربية الخلقية، فالمتعلم لا يمكن أن يحيا بشكل أخلاقى

دون الحرية، وأنه لا حرية دون مخاطرة. إن السلطة الديمقراطية المتسقة مع ذاتها لا تلوّثها اللامبالاة، إنها ترفض كبح حرية الطلاب وترفض أى كبح لعملية بناء انضباط جيد، أو ترفض بعد ذلك تقويم الطلاب للمعلم الأمر الذى يترتب عليه تطوير أداء المعلم، وأن يقرب بين ما يقوله وما يفعله، وبين ما يبدو عليه الآن وما سيصبح عليه غداً. إن المعلم الديمقراطي يذكر أنه لا يعرف إذا كان لا يعرف. وهذا الالتزام بحقيقة عدم معرفته يمثل رصيذاً له عند طلابه، باعتبار أن هذا السلوك الصادق يمثل قيمة أخلاقية من ناحية ويدفع المعلم الذى هو فى موقف التعرض لكافة أنواع الأسئلة أن ينمى نفسه أكاديمياً وأن يكون مستعداً لتزويد طلابه بإجابات صادقة عن أسئلتهم.

إن المعلم الديمقراطي يبذل الجهد لتجسير الفجوة بين الثنائيات بين التدريس والتشكيل الخلقى، وبين الممارسة والنظرية، وبين السلطة والحرية، وبين الجهل والمعرفة، وبين احترامه لنفسه واحترامه لطلاب، وبين التعليم والتعلم. المعلم الديمقراطي يتعامل مباشرة مع حرية الطلاب ونمو استقلاليتهم، تلك هى الطريقة التى يحيا بها المعلم الديمقراطي مع نفسه ومع طلابه، والتى يحترم فيها حق إلقاء الأسئلة والشك والنقد، هو شاهد بصدق على ما يؤمن به وما يتحدث عنه. أما التحدث فقط فلا جدوى من ورائه، وتلك هى المسئولية الخلقية التى يحملها المعلم ويتحملها. إن التدريس الديمقراطي نص يجب أن يقرأه المعلم باستمرار ويفسره حتى يتحقق التلاحم بين المعلم والمتعلم فى استخدام مكان التدريس بشكل متبادل حتى تزداد إمكانيات حدوث التعلم الديمقراطي فى المدرسة.

إن وجود المعلم فى الفصل هو وجود سياسى، ولذلك توجب على المعلم الديمقراطي أن ينقل لطلاب قدرته على التحليل والمقارنة والتقييم واتخاذ القرار والتأثير والاعتراض، وقدرته على أن يكون عادلاً فى أقواله وأفعاله، وأن تكون له اختياراته على أن يبجل الحقيقة، لأنه إنسان أخلاقى يختار الممارسة منفتحة العقل

يلتزم بها عند تنفيذه لأنشطة التدريس فلا تمييز بين المتعلمين على غير أساس موضوعي بل بين الطلاب على أساس قدراتهم وميولهم واستعداداتهم.

إن التربية خبرة إنسانية خاصة. والمعلم لا يكون معلماً إذا لم يدرك بوضوح أن ممارسته تتطلب منه تحديداً لموقفه، وتحاصماً مع ما ليس صحيحاً أخلاقياً، وأن يختار فلا يمكن أن يضم المعلم الديمقراطية صوته لصوت صانعي السلام الذين يطالبون بالبؤساء والمقهورين بالاستسلام لقدرتهم. إن صوت المعلم صوت المقاومة والسخط وبه نبرة غضب للذين تم خداعهم، وصوت المعلم الديمقراطية يتحدث عن حقهم في التمرد في وجه الانتهاك الأخلاقي، إنه لا يتخلى أبداً عن مصالح البشر عندما تهددهم قيم السوق قيم الربحية. إن موقف المعلم الديمقراطية يتسم بالشمولية وبإعداده الكفاء الذي يكشف عن إنسانية موقفه موقف احترام للطلاب دون شروط واحترام للمعرفة التي لديهم، والمعرفة التي حصلوا عليها مباشرة الحياة، وموقفه يتطلب اتساقه مع نفسه في الفصل فيما يقوله وما يفعله، يقف في صف الحرية وضد التسلطية، ويدافع عن الديمقراطية ضد الديكتاتورية، ويؤيد النضال الدائم ضد كل شكل من أشكال التعصب، وضد السيطرة الاقتصادية وأفراد أو طبقات اجتماعية، تملؤه روح الأمل على الرغم من كل ما يثير التشاؤم، ويفخر بجمال تدريسه، المعلم الديمقراطية هو المحارب الصامد الذي لا يستسلم والذي يحقق علاقة متوازنة بين السلطة والحرية والتي ترسم لها حدود، وبدونها تتحول الحرية إلى فوضى وتتحول السلطة إلى تسلط. إن التحدي الأكبر أمام المعلم صاحب العقل الديمقراطية هو كيف ينفذ إلى الإحساس بالحدود التي يمكن أن تتكامل أخلاقياً مع الحرية نفسها. والمعلم الديمقراطية يدرّب طلابه على خبرة اتخاذ القرار وخبرة تحمل نتائج هذا القرار، فليس هناك قرار لا نتائج له، سواء أكانت متوقعة، أو شبه متوقعة، أو غير متوقعة. وهذه النتائج هي التي تجعل من عملية اتخاذ القرار عملية تتسم بالمسؤولية. ومن المهام العلمية أن يوضح المعلم لطلابه أن مشاركتهم عملية اتخاذ القرار ليست تطفلاً، بل هي واجب ما دام ليس في نية المعلم

اتخاذ القرار نيابة عن طلابه وتكون مشاركة المعلم على أكمل وجه ممكن عندما تتمثل في مساعدة الطلاب على تحليل النتائج الممكنة للقرار المزمع اتخاذه. إن موقف المعلم هو موقف القادر على أن يتقبل بتواضع دور الناصح لطلابه باعتباره ناصحاً، فإنه لن يفرض قراراً ما أو يغضب، لأن وجهة نظره الأبوية لم تحظ بالقبول. إن ما هو ضرورى وجوهري هو أن يتحمل الطالب قراره أخلاقياً وبمسئولية وهذا ما يحقق استقلاليته، فالاستقلالية هي نتيجة قرارات متعددة لا تحصى.

إن تعليم الاستقلالية يجب أن يركز على التجارب التي تثير اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية والتي تحترم الحرية، والتي تركز على اتخاذ القرار الواعى والمعبر عن الضمير الحى. إن للصمت أهمية فى عملية التواصل، فهو يتيح الفرصة للإصغاء للتواصل اللفظى، ويسمح أن يدخل المتعلم فى الإيقاع الداخلى لفكر المتحدث وخبرته، ويجعل المتحدث متواصلاً حقيقياً عند الاستماع إلى السؤال والنقد والمداخلات. وما يهم هو العلاقة النقدية البنائية والتحدث مع الآخر ثم التواصل الحوارى، حيث أن لدى المعلم ما يقوله وأن لدى المتعلم ما يقوله أيضاً، أى لديه فضول لا بد أن يؤكد عليه المعلم ليحصل الطالب على الرضا والمكافأة عند تحقيق هدفه، وحيث إن دور المعلم هو استثارة الطالب ليصبح متواصلاً مشاركاً. إن إصغاء المعلم للطلاب هو الذى يعلمه التحدث معه، وهو الذى يجعل المعلم يحث الطالب على التواصل دون تحامل على ما يقال دون تسلط مع الانفتاح على التفكير النقدى والتقييم لأفكار واردة من ثقافات أخرى، ويتم ذلك فى تواضع واحترام للثقافات الأخرى وتسامح وترحيب بالتغيير، والمثابرة فى النضال، ورفض الحتمية، وروح الأمل، والانفتاح على العدالة، ودون ذلك لن يكون النعلم ديمقراطياً، ناهيك عن فهم المختلف وتقبله دون تمييز أو قهر لرؤية الطالب، ذلك أن التربية هي مفتاح التغير الاجتماعى.

المعلم الكفء والمتسق ديمقراطياً يمتلئ بالحياة وبالأمل، ولديه قدرة على النضال واحترام الآخر. إنه إذا كان الحلم الذى يلهمنا حقاً هو حلم ديمقراطى

يقوم على أرضية متماسكة، فلن يكون ذلك بأن نتحدث ونتحاور مع طلابنا من على كما لو كنا نمتلك الحقيقة، ذلك أن المعلم الذى يمتلك القدرة على محاورة طلابه هو ذلك المعلم الذى يصغى بصبر وبنقدية، وحتى عندما يضطر إلى التحدث ضد أفكار وقناعات الآخر فعليه ألا يخنق الحرية ويقتل الإبداع والمغامرة المحسوبة، وعليه ألا يضفى طابع البيروقراطية على العقل، حتى لا يصبح الطلاب مجرد وعاء لما ينقله المعلم إليهم. إن ما يجب عليه عمله هو تحدى الطلاب، وإفساح المجال أمامهم بالأسئلة الكاشفة التى تساعد على إدراك ذواتهم كبناء للعمليات المعرفية الخاصة بهم.

إن التعليم الديمقراطى يتم بشكل نقدى وحينئذ يلتزم المعلم بالمحاولة المشروعة التى يقوم بها الطالب لتحمل مسؤولية أن يكون ذاتاً عارفة، بل أكثر من ذلك، حيث تتضمن مبادرة المعلم الملتزم بمغامرة توليد شخصية الطالب وكيف يتعلم بنفسه وكيف يمارس الجرأة فى السؤال والمداخلة والقبول والرفض وطرح البدائل المختلفة للسؤال الواحد.

إن القضية المهمة فى التعليم الديمقراطى هى الدفاع عن المصالح المشروعة للإنسان المتعلم والانشغال بالطبيعة البشرية، للمتعلم طبيعته الباحثة المتسائلة وله خبراته وله ميوله وله مشكلاته ومهاراته وقدراته واستعداداته، ويمكنه تعلم أى شئ وتذوق ونقد واختيار، واختبار ما يتعلمه، وأنه يدرك أن هناك كثيراً لا يزال عليه أن يستوعبه. هو منفتح على الدنيا ومنفتح على الآخرين لا يخجل من وجود شئ لا يعرفه. كل ذلك الفهم لطبيعة المتعلم يتوجب على المعلم الديمقراطى أن يسلم بها وأن يبدأ منها ويبنى منظومة التعليم والتعلم عليها ويقيم عليها علاقة حوارية مع المتعلم عبر السياق الاجتماعى والثقافى والمحلى الجغرافى للمتعلمين، وعلى المعلم الديمقراطى أن يفتح على عالم الطلاب الذين يشاركونه المغامرة التعليمية التعليمية، ليدعم حقهم ويسد الفجوة بين واقع المتعلمين وما سيصلون إليه ويحصلونه ولمساعدتهم على سرعة الاكتساب والتعلم، ولإخضاع سطوة

وسائل الإعلام لمناقشات جادة، وحتى يتم التعليم فى فصل بلا جذران ويصبح التعليم أداة ترجمة متفائلة بقدرات الإنسان وطاقاته.

ثانياً - التدريس التقدّمى فى عصر المعرفة

إن التدريس التقدّمى معناه خلق إمكانيات بناء وإنتاج المعرفة، لا مجرد الانخراط فى نقل المعرفة، ذلك أن معلم الألفية الثالثة شخص منفتح للأفكار الجديدة، منفتح للأسئلة، منفتح لفضول الطلاب، هو واع بأنه ذات نقدية باحثة فى مهمته التدريسية، يربط بين النظرية والتطبيق فى بناء المعرفة منخرطاً عملياً وفعلياً فى بناء المعرفة مشركاً الطلاب فى هذا البناء.

من هنا تصبح لدى المعلم القدرة على الإقناع. ولأن المعلم صاحب عقلية ناقدة فهو لا يتوقف عن كونه مغامراً مسئولاً ميالاً لتقبل التغيير والاختلاف، ولأن المعلم يعترف بحدوده كإنسان توجب عليه الإلمام بأشكال المعرفة الأخرى التى نادراً ما تكون جزءاً من المنهج وطريقته فى الحياة هى مثال للبحث الدءوب الباعث على الأمل، والذى هو بمثابة ثمرة من ثمرات النقص لدى البشر، تبدأ كمعرفة ثم مع مرور الوقت تتحول إلى حكمة. ليضع المعلم التقدّمى فى اعتباره الانفتاح على الفضول كى يبحث ويستمتع معاً.

إن المعرفة الضرورية للممارسة التربوية هى المعرفة المتعلقة باحترام استقلالية المتعلم سواء أكان هذا المتعلم طفلاً أم شاباً. هى معرفة تؤكد احترام المعلم لذاته. ومبدأ يتعلق بقضية المضامين الأخلاقية، فاحترام استقلالية وكرامة كل شخص أمر حتمى أخلاقياً وليس معروفاً تقدمه أو لا تقدمه للآخرين. فالمعلم الذى لا يحترم فضول الطلاب فى تعبيراتهم الجمالية واللغوية ويستخدم السخرية فى وضع استفسارات مشروعة هو لا يحترم خبرة الطالب التربوية وينتهك مبادئ أخلاقية للإنسان المتعلم.

وفى هذا السلوك يتساوى كل من المعلم المتسلط الذى يخنق الفضول الطبيعى والحرية الطبيعية للطلاب والمعلم الذى لا يضع أية معايير. إنها يتساويان فى عدم احترامها لخاصية إنسانية أساسية للمتعلم باعتباره إنسانا. وفى هذا السلوك أيضا تصبح إمكانية الحوار الحقيقى الذى تتعلم فيه الذوات المتحاوره من الطلاب وتنمو فى مواجهة الاختلافات بينها مطلبًا متسقًا ذا طابع أخلاقى، وقطعًا للعلاقة مع التفكير الناقد. إن المعلم التقدمى يلغى فى تعامله كل أشكال العنصرية والتمييز على أساس الجنس أو الجنسية أو اللون أو الدين أو الانتماء فكل أشكال التمييز غير أخلاقية، والنضال لمناهضتها واجب المعلم التقدمى أيا كانت الأحوال التى عليه أن يواجهها. وفى هذا النضال وهذا الواجب ذاته كل سحر، بل جمال إنسانيتنا، فمعرفة المعلم بأن عليه احترام استقلالية وكرامة المتعلم تتطلب منه سلوكا وممارسة تتسق مع هذه المعرفة وترجمها إلى واقع وحياة.

المعلم التقدمى يمتلك حسًا مشتركًا مع الآخرين وإحساسا بسلوك طلابه الأمر الذى يحتم عليه تنفيذ واجباته كمعلم كفء يتقبل التفسيرات المقنعة لطلابيه. إن الحس السليم الذى يمتلكه المعلم التقدمى هو الذى يخبره أن ممارسته لسلطاته فى الفصل من خلال القرارات التى يتخذها، والأنشطة التى يواجهها، والمهام التى يفرضها، والأهداف التى يضعها لكل متعلم أو لمجموعة المتعلمين ليست دليلًا على التسلط، وحتى نحل المعضلة التى تنشأ بين السلطة والتسليط والحرية والاستبداد والتسامح والقمع.

إن تعاطف المعلم مع آلام ومشكلات الطلاب تتطلب نقدا موضوعيًا مقبولا ومشاركة إحساسه بالألم إذ وجه إليه نقد جارج. ذلك أن المعلم التقدمى لا يحتاج إلى قراءة كتاب فى الأخلاق ليخبره ويتعلم منه فحسه السليم يكفيه.

ولا يقتصر دور هذا المعلم على صناعة العلماء والمفكرين فحسب، بل هو معنى بتنمية اتجاهات متماسكة وفضائل متسقة وممارسات واعية، وكلها مطلب أساسى فى

مهنته. لا يكفي أن يكون المعلم متحدثاً لبقاً عن الديمقراطية وعن الحرية وفي ذات الوقت لا يتسق سلوكه مع حديثه وتأتي تصرفاته تتسم بالتكبر والعجرفة وكأنه يمتلك الحقيقة المطلقة ويعرف كل شيء فذلك هو ما يقتل في الطلاب قدراتهم الابتكارية والإبداعية بل والنقدية.

إن تربية الأعماق وتنمية الأخلاق بالقُدوة والمثال وبالممارسة المنهجية وتهيئة بيئة تعليمية تعليمية فيها البهجة والتسامح والحرية والتساؤل والمقارنة والشك والتقدير والإثابة بل بأن نجعل الطلاب فضوليين فاعلين يمتلكون حساً سليماً. وإذا كان الحس السليم غير كاف لتوجيه تحركات المعلم فإنه مع ذلك يمكن أن يحافظ على دور فاعل في تقويم الواقع مع المضامين الأخلاقية المتكاملة معه، حيث إن الحس السليم سيقود المعلم إلى معرفة نقدية إلى التنبؤ وانفتاح العقل للشك والتواضع أو امتلاك للحقيقة، والاعتراف في ذات الوقت المعلم والطالب على حد سواء لا يستطيع أن يجرد نفسه من شروط بيئته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي هي مصدر قيمه وأخلاقه ومصدر ثرى لخبراته التي يحضرها معه إلى المدرسة والتي يتوجب على المعلم أن يهذبها ويعدلها وينميها ويصقلها، فالمعلم أمام مهام ثلاث هي: أن يضيف وينمي، وأن يستبعد ويحذف، وأن يعدل ويغير. وكلما زادت دقة منهجية ممارسة المعلم زاد لديه احترام المعرفة الأولية لدى المتعلم، فهذه المعرفة الأولية هي نقطة البداية التي ينطلق منها فضوله المعرفي ليؤدي إلى معرفة علمية نقدية. ومن خلال تأمل المعلم في واجبات مهنته التي أولها احترام كرامة المتعلم واستقلاليتته وهويته يتقدم المعلم نحو تطوير ممارسة تربوية تحول المعرفة إلى سلوك وعمل وحياة في إطار نقطة نقدية دائمة بالنسبة للمتعلمين. وهنا يصبح من الأجدى أن تكون آلية التحسين والتطوير عاجلة وآجلة يشارك في بنائها المتعلم والمعلم معا حتى يخلق الدافعية لدى المتعلم المشارك في إنجازها حيث تكون لها معنى ومغزى في مسيرته التعليمية التعلمية، بل إن استخدام التقويم النقدي للممارسات التي ينجزها المتعلمون تكسبهم سلسلة من الفضائل التي بدونها لا

يمكن أن يوجد تقويم حقيقى أو تعلم حقيقى يحقق احترام استقلالية المتعلم وحرية وكرامته وهويته. إن هذا كله يعنى للمعلم التقدمى جهدا متواصلا متراكما يفرضه على نفسه فى تقبل حتى تضيق المسافة بين ما يقول المعلم وما يفعله. ويصبح فن ممارسة التدريس وهو فن إنسانى رفيع عملية تشكيل عميقة وعملية أخلاقية يتحلّى فيها المعلم بالاستقامة والعدل.

إن تقويم المتعلمين للمعلم باعتباره إنساناً أخلاقياً وصاحب مهنة أمر واقعى علمه المعلم أم لم يعلمه فلا يمكن أن يمر حضور معلم فى الفصل دون حكم للطالب عليه، وأسوأ حكم يمكن أن يكون هو اعتبار هذا الحضور غياباً. وسواء أكان المعلم متسلطاً، أو غير منضبط، كفتاً أو غير كفء، جاداً أم غير مسئول، مهتماً ومحباً لطلابه وللناس والحياة، أو بارداً ساخطاً، بيروقراطياً أم مفرط العقلانية أياً ما كان المعلم، فإنه لن يمر عبر فصل ومتعلمين دون أن يترك بصمته على طلابه. من هنا تبدو مهنة التعليم جد خطيرة فى تشكيل المجتمع وصناعة الإنسان وهندسته، ومن هنا يمسى المعلم مؤثراً فى مسيرة التعليم والمعرفة، والتى تتأثر بوضوح مهنته، وموازنته بين الحقوق والواجبات، بل إن كل ما يعيشه المتعلم فى المدرسة يتعلم منه: المكان الصحى والملائم فيزيقياً، والبيئة الجمالية الثرية بالمثيرات التعليمية الفنية بمصادر التعلم الورقية والكمبيوترية، بل ونظام إدارة المدرسة ورجال الصف الثانى والعلاقات البينية بين كل هؤلاء والآباء، حتى كأن المدرسة بما فيها ومن فيها مزرعة للفكر البشرى ومصنع لبناء البشر.

وإذا كان هذا كله هو نضال يتحمله المعلمون فلا بد من النضال من أجل المعلمين يتمثل فى احترامهم واحترام التعليم نفسه، ومن أجل رواتب يستحقها المعلمون، ورعايتهم صحياً واجتماعياً ومساندة حقوقهم من أجل إضفاء الكرامة على ممارسة مهنة التدريس من قبل الآباء وقيادات التعليم والسياسيين والاقتصاديين ومن يقومون على نقاباتهم.

إن المعلم غالباً لا يعيش قناعاته بأن يقول ما يعتقد في صحته سياسياً وما يرى أنه حق بل هو يقف موقفاً حيادياً لا وجود له أصلاً وفي الوقت ذاته يتقبل حق الطلاب في المقارنة والاختيار والخلاف واتخاذ القرار، وهو ينسحب سياسياً ليكون منفتحاً على عملية المعرفة، وحساباً لخبرة التدريس باعتباره فناً وعلماً له أصوله وعليه أن يشيع البهجة والأمل في مناخ تعليمي، وأن يكون منفتح العقل لا يخشى الجديد، وأن يكون مفكراً تقدماً يؤمن بأن التغيير ممكن.

إن تطور مفهوم التدريس والمنهج لمسايرة الطبيعة المعلوماتية للمعرفة، حيث زادت قدرة الكمبيوتر في التفاعل مع المعرفة، ومعالجة المعلومات، ومحاكاة الواقع، وما يمثله ذلك من أداة جيدة لمواجهة التعقد، ووسيلة التحرر من الخطية، والارتقاء إلى مستوى التفكير الشبكي المنظومي الذي تتكامل فيه المعرفة بأشكالها المختلفة. وأصبح التدريس ينظر إليه باعتباره ظاهرة معقدة لا تخضع للعلاقات الخطية المباشرة بين المعلم والمتعلم، والتركيز فيها ليس على مخرجات التعلم، بل على المتعلم من خلال نشاطه، وذلك نظراً لأن جميع مخرجات التعلم غير معروفة وليس بالضرورة أن تعرف في جميع الحالات. ومن ثم فإن التدريس لم يعد قوالب جاهزة نهائياً أو جامدة، ولكنه ينمو ويتطور من خلال تفاعل المعلم والطلاب، أي أنه عملية تأمل أو عملية صناعة قرار تستند إلى الخبرة وليس إلى التحليل المنطقي. وأصبح المنهج من هذا المنظور ليس مجرد سلعة أو منتج عقلي تم اختراعه أو تخطيطه مسبقاً بواسطة الخبراء لتطبيقه عبر سياقات بيئية مختلفة، ولكنه بناء سباق متطور وفق حاجات كل بيئة على حدة.

إن تطور مفهوم التعلم وتحرره من قيود المدرسة السلوكية التي ترى أن التعلم آلية تحكمها العلاقة الخطية والحتمية بين المثير والاستجابة إلى أفق أكثر رحابة وحرية، حيث ينظر إلى التعلم على أنه استجابة شخصية أو ذاتية لمثيرات بيئية منتقاة، ونتيجة طبيعية لتفاعل اجتماعي داخل الصف. وقد انعكست هذه الرؤية للتعلم على الممارسات التدريسية في الجوانب التالية:

- أهداف غير مسبقة مرنة ومتطورة وغير نهائية، ومنهج مرتبط بحياة الطلاب.
- تعلم المفاهيم وحل المشكلات، وتعزيز داخلي حقيقى.
- نشاط المتعلم وإيجابيته، وتقييم بنائى أصيل، وتدريس تأملى يتميز بالمرونة.
- تأكيد دور اللغة والحوار كوسيط لتوليد المعرفة.
- تأكيد أهمية التفاعل الاجتماعى والاستقصاء التعاونى.
- الانتباه إلى تأثير السياق الثقافى الاجتماعى فى تكوين المفاهيم البديلة والمغايرة.

إن التدريس مهنة راقية لها صيغ إرشادية حاکمة تحددها الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التالية: ماذا يفعل المعلم بالتحديد ؟ وهذا السؤال يرتبط بالوظائف المهنية التى يقوم بها المعلم. ثم ما الذى يؤثر فى عمل المعلم ؟ وهذا السؤال يشير إلى العوامل المؤثرة فى مهنة التدريس أو السياق. ثم كيف يقوم المعلم بهذا العمل ؟ ويؤكد هذا السؤال الخاصية الإجرائية لمهنة التدريس. والإجابة عن هذه الأسئلة الثلاثة تمكن من تحديد مبادئ التدريس، وأدوار المعلم ومسئوليته، وتأثير معتقداته وثقافته الشخصية والتربوية فى ممارسته المهنية واتخاذ القرار.

إن الدراسات التربوية الحديثة تشير إلى أربع فئات أساسية لمتغيرات التدريس، هى:

- الفئة الأولى متغيرات المدخلات وتشمل: الخصائص الشخصية للمعلم، وكفايات المعلم، وتدريب المعلم، والنشاط القبلى للمعلم.
- الفئة الثانية متغيرات العمليات وتشمل: أنشطة المتعلم أى سلوك المتعلم، والسلوك التفاعلى للمعلم.
- الفئة الثالثة متغيرات النواتج وتشمل: مخرجات التعلم.
- الفئة الرابعة متغيرات السياق وتشمل: الخصائص الفردية للتلميذ والسياق الداخلى، والسياق الخارجى.

وتكمن هذه الصيغة الإرشادية لمتغيرات التدريس في التأكيد على دراسة العلاقة بين متغيرات المدخلات ومتغيرات العمليات، وأيضًا دراسة العلاقة بين متغيرات العمليات، والمخرجات بديلاً لدراسة العلاقة بين متغيرات المدخلات ومتغيرات المخرجات مباشرة. نظرًا لأنه البحث في الارتباط بين متغيرات المدخلات ومتغيرات المخرجات قيمته ضعيفة نتيجة لتباين العوامل الدخيلة المؤثرة في أحداث الفصل الدراسي والتي تضعف الارتباط بين تلك المتغيرات بسبب أخطاء التقدير. ويبدو أنه من المقبول منطقيًا أن نتوقع وجود ارتباطات أكثر وضوحًا بين متغيرات المدخلات مثل مهارات المعلم واتجاهاته ومتغيرات العمليات مثل سلوك المعلم، وأيضًا وجود ارتباطات بين سلوك المعلم داخل الفصل ومتغيرات المخرجات مثل مخرجات التعلم عند التلاميذ. ويرجع ذلك إلى أنه في الحالتين نجد أن المسافة بين نوعي المتغيرات أقرب من حالة العلاقة بين متغيرات المدخلات والمخرجات.

ثالثًا - التقويم البديل هدف تربوي

إن ما يجب أن نولي عناية في مدارسنا وجامعاتنا هو التقويم البديل وهو أسلوب يستخدم لتحديد ما الذي يعرفه التلميذ أو يستطيع أن يفعله بهدف إظهار النمو وتقديم التوجيهات المناسبة. وهذا الأسلوب في التقويم لا يستخدم الاختبارات التقليدية. وهذا التقويم أصيل أو حقيقي، لأنه يعتمد على أنشطة تمثل النمو الحقيقي تجاه الأهداف التعليمية، وتعكس مواقف الصف الدراسي والحياة الواقعية. ويشمل ملاحظات المعلم والتقييم القائم على الأداء وتقييم التلميذ لذاته. إن التقييم البديل يمكننا من تقويم تنوع واسع في مخرجات التعلم ذات الأهمية، كما أنه يعزز التوظيف الجيد لزمن التدريس في تنمية مدى واسع من المهارات، ويزودنا بمعلومات عن معرفة التلميذ وقدراته، ويمكننا من متابعة نمو التلاميذ على مدار السنة. ولكن من عيوب هذا النوع من التقييم عدم اتساق تفسير النتائج، وتأثير الذاتية على الصدق والثبات، والحاجة إلى وقت كبير في عملية التصحيح، ولذا يجب

على المعلم استخدام مقاييس متعددة لتقييم النمو المعرفي والتقدم الأكاديمي للتلاميذ. كما أن احتمالات تكامل التدريس مع التقييم لقياس عمليات التعلم ومهارات التفكير العليا، واستخدام مدخل المشاركة في التقييم بسهم في تحقيق التفاعل بين المعلمين والمتعلمين في عملية التعليم والتعلم.

إن أشكال التقييم البديل متنوعة، فهي تشمل:

- كفايات معينة من خلال مهام محددة مثل الأداء في المختبر، وأثناء قيام التلميذ بالمهام يتم إمداده بالتغذية الراجعة لتحسين التعلم. ومن مميزات هذا النوع من التقييم أنه يساعد في تحسين مهارات الاستقصاء لدى التلاميذ، ويمر التلاميذ بفرص أكثر للإجابة على أسئلة مفتوحة النهاية، وبالتالي يعزز قدراتهم في التفكير الناقد. كما أنه يعزز قدرات التلاميذ في التفكير والعمل التعاوني في فريق ويمكن إدارته لمجموعات صغيرة من التلاميذ أو لتلميذ واحد.
- التقييم المعتمد على ملفات التلميذ، ويستند إلى عملية التجميع المنظم لأعمال التلميذ لفترة زمنية طويلة، باستخدام أساليب متنوعة لتسجيل تلك الأعمال، وذلك بهدف إظهار عمق واتساع وتطور معارف التلميذ ومهاراته واتجاهاته. ويعكس هذا التجميع المنظم والهادف الانجازات المتصلة بالأهداف التعليمية. ويتيح هذا النوع من التقييم إمكانية الجمع بين المعلومات المأخوذة من التقييم البديل والتقييم المعيارى، إضافة إلى معلومات التقييم والمتابعة الذاتية من التلميذ ذاته. ولذا يسهم هذا النوع من التقييم في تنمية استراتيجيات التقييم الذاتى التى يمكن أن يستخدمها المتعلم فى جميع جوانب الحياة. كما يتميز التقييم المعتمد على ملفات المتعلم بحساسيته للسياق حيث إنه يناسب جميع المتعلمين وجميع مجالات المواد الدراسية وجوانب التعلم من معرفة ومهارات واتجاهات.

ويأخذ أسلوب ملفات التلميذ أشكالاً متعددة مثل الملفات الورقية أو الصندوق. ويتم حفظ أعمال التلميذ مؤرخة على مدى الأسبوع أو الشهر أو السنة، ويشمل تقارير المختبر وأوراقاً بحثية ومقالات من مجلات، والاختبارات اليومية القصيرة والواجبات المنزلية..

إن التقييم البديل له أساليب كثيرة ومتنوعة، من أهمها:

1- الملاحظة وهي تساعد المعلم في التعرف على الصعوبات التي تواجه تعلم التلاميذ، إضافة إلى تقييم قدراتهم في تحصيل المعارف. ويتطلب تحقيق ذلك بصورة فعالة ضرورة احتفاظ المعلم بسجلات الملاحظة وذلك بالاستعانة ببطاقات الملاحظة، ويمكن الاستعانة ببعض المؤشرات التي يجب أن تشملها قائمة الملاحظة والتي تشير إلى أن التلميذ: لديه فضول واتجاه نحو التعلم بإيجابية وروح البحث، ويرغب في التعلم المستقل، ويسأل أسئلة مناسبة، ويقترح بدائل للأفكار أو توسيعاً لها، ويظهر تحملاً للمسئولية الشخصية، ويضرب مثلاً في الاستخدام المناسب للوقت، والاستخدام المسئول لأدوات المختبر، ومستعد لأنشطة الصف، ويحترم المسئولية الجماعية ويشارك في تحقيق الفهم العام، ويحترم آراء وأفكار الآخرين، ويحافظ على استمرار الجماعة في العمل.

2- خرائط المفاهيم والمقابلة الشخصية فعلى الرغم من أن أسئلة المقال تمدنا بمعلومات مفيدة حول فهم التلاميذ إلا أنها لا تكون قابلة للتطبيق في جميع المواقف بسبب طول الوقت المطلوب، ولذا فإن خرائط المفاهيم أو الشبكات تقدم نظرة تصويرية توضح فهم التلاميذ وخالية من جميع الكلمات غير الأساسية التي يشملها المقال بحيث تحافظ على المفاهيم. أما المقابلة الشخصية فقد تم تطويرها واستخدام هذا الأسلوب لتشخيص المعرفة القبلية والمفاهيم

المغايرة والفهم البديل لدى التلاميذ. وعادة تستخدم المقابلة الشخصية كأداة مرتبطة بخرائط المفاهيم من خلال التواصل والاتصال الشفهي.

3- التسجيل بالفيديو، ويستخدم هذا الأسلوب لتقييم التفاعل الصفّي لمساعدة المعلم في تطوير الأداء التدريسي ومساعدة التلاميذ في عملية التقييم الذاتي لقدراتهم على الأداء العملي أو التفاعل الصفّي.

4- تسجيل اليوميات حيث يقوم المتعلم بتسجيل أسئلة المعلم ومشاعره نحو نشاط ما، أو كتابة ما تعلمه اليوم ويحتفظ به في ملف منفصل. وهو أسلوب يساعد في تنمية مهارات الكتابة للمتعلم من خلال الاتصال مع أفكاره على الورق كما يربط بين المعارف التي يكتسبها المتعلم، ويساعد المعلم من بناء حوار مع المتعلم عند الاطلاع على سجل اليوميات، ويترتب على ذلك تطوير طرائق التدريس والإجابة على أسئلة كل متعلم على حدة.

5- جلسات العصف الذهني، هو أسلوب للتقويم القبلي بهدف تحديد المعرفة المسبقة للمتعلم حول سؤال أو مشكلة ما، حيث يتم سؤال المتعلمين فردية لكتابة كل ما يعرفونه عن موضوع الدرس بعد جلسة العصف الذهني ومناقشات الزملاء ومن خلال خبرات التعلم الحقيقية.

6- أسئلة النهاية المفتوحة والتي تستدعي حلولاً متعددة، وتسهم في تنمية مهارات حل المشكلة وتشجيع التفكير الإبداعي. والتدريب على أسئلة النهاية المفتوحة يتطلب الإجراءات الآتية: تحديد الأفكار الأساسية المطلوبة للتقييم، والمهارات المراد تقييمها، وتصميم سيناريو لتطوير أفكار المتعلمين وكتابة إجابات حول الأسئلة المطروحة، واختبار أسئلة التقييم مع عدد من المتعلمين، ومقارنة إجابات المتعلمين مع الإجابات المتوقعة ووضع درجات التقدير المناسبة.

7- قائمة التقدير الذاتى، وهدفها تقييم معرفة المتعلم للمفاهيم والمهارات على تدرج من خمس نقاط، وتتضمن أداة التقييم المفاهيم المتوقع تعلمها أثناء عملية التدريس وأمام كل مفهوم قائمة من خمسة اختيارات يعبر كل منها عن مستوى فهم المتعلم للمفهوم، والاختيارات هى: لم أسمع عن المفهوم، سمعت عنه لكن لم أفهمه، أفهم هذا المفهوم جزئياً، أعرف المفهوم وأفهمه، أعرف المفهوم وأفهمه وأستطيع شرحه جيداً.

إن المعلم المتميز عليه مراعاة المبادئ التالية عند إجراء التقييم:

- أن يدرك الهدف من التقييم من حيث نوعه. التقييم التكويني هدفه تعديل مسار عملية التعليم والتعلم واتخاذ القرارات المناسبة. والتقييم التشخيصي هدفه التعرف على صعوبات التعلم، والتقييم النهائي هدفه معرفة الإنجازات النهائية للتعلم، والتقييم التقويمى هدفه تطوير المنهج أو علاج بعض جوانب العملية التربوية.

- إن الأهداف التكوينية والتشخيصية لعملية التقييم تتناسب مع ممارسات التعلم الفعال، وهى تركز على ما يفعله المتعلم، وتقدم معلومات مفيدة لكل متعلم حتى تساعد على التقدم.

- أن يدرك المتعلم الهدف من التقييم وإجراءات تنفيذه ليكون مشاركاً مع المعلم ويتحمل مسؤولية تعلمه.

- أن تتناسب استراتيجية التقييم مع أهداف المنهج.

- ألا يتعارض مدخل التقييم مع عملية التعلم بل تتكامل معها قدر الإمكان.

رابعاً - التدريس الجيد والذكاء الإنسانى

إن التدريس الجيد أحد محاور الاهتمام التى شغلت الأسرة والمدرسة والجامعة والمعنيين بأمور التربية والتنمية البشرية وبناء الإنسان، والتدريس أحد أشكال

التعلم المتعمد الذى يسعى لإعادة تشكيل الإنسان، والتعرف على مقدار التغير الحادث فى سلوك المتعلم، سواء كان جملة من السلوك الجديد المكتسب أو السلوك المتجدد، من خلال تحسن يطرأ على سلوك سبق تعلمه وتعديل فى سلوك يلزم تعديله لدى المتعلم نتيجة لتطور فى العلم طبيعته ومحتواه ومنهجه، أو نتيجة تحديث البيئة المحيطة والمناخ المتاح للتعليم ودرجة الرقى الحضارى الذى تنعم به المجتمعات الإنسانية.

إن التدريس تطور وتنوع أشكاله وطرائقه وأساليبه واستراتيجياته نتيجة لتطور أساليب البحث ومجالاته التى حققت ابتكاراً فى توجهاته واهتمامه بالمتعلم وإطلاق إمكاناته الكامنة وتحسين مستويات تفاعله مع الحياة، وتحديد الذكاء الإنسانى ليحقق المزيد من النجاح الأكاديمى والنجاح المهنى، والنجاح فى الحياة الذى يتطلب المعرفة والإبداع والتهديب الشخصى والعلاقات الحسنة مع الآخرين. وتطوير التدريس وتغيير إجراءات التعلم التقليدى السائد فى ثنايا العملية التعليمية على نحو علمى يساعد فى إحداث نمو متسارع يزيد من قدرة الأنشطة العقلية، ويجعل المتعلم أكثر ذكاء وأكثر تميزاً واختلافاً عن أقرانه، وتطوير التدريس ضرورة تفرضها نواتج البحث التربوى والنفسى، كما يفرضها مسئولية إعداد جيل الألفية الثالثة حتى يكون قادراً على المنافسة العالمية. والتدريس عملية تفاعل بين متعلم ومعلم ومحتوى تعليمى بغرض الوصول إلى نواتج منشودة تحقق أفضل إمكانات نمو ممكنة للمتعلم فى كافة جوانبه.

إن الدراسات والبحوث التى أجريت حول الذكاء الإنسانى تمثل مصدراً لتطوير التدريس وإثراء مواقف التعلم بما ييسر إطلاق طاقات المتعلم ويصل به إلى أفضل نمو ممكن، الأمر الذى يدعو إلى التعامل مع الذكاء فى حدود قدرة المتعلم على حل المشكلات وإنجاز منتج جديد فى بيئته، وفهم الذكاء الإنسانى على أنه أنواع متنوعة تجعل المتعلمين مختلفين فيما بينهم. إن نظرية (جاردنر) أوضحت جوانب

الغموض التي أحاطت بالذكاء الإنساني، وأمدته بمفهوم وظيفي يفيد في مجرى العمل التدريسي، حيث اتسعت أنواع الذكاء لتشمل:

- الذكاء اللغوي، ويتمثل في القدرة على استخدام الكلمات بفاعلية شفهيًا أو كتابيًا، واستخدام قواعد اللغة وأصوات اللغة ومدلولات اللغة الاستخدامات العلمية، والبلاغية لإقناع الآخرين بالقيام بعمل ما، واستخدام اللغة لتذكر المعلومات وللتفسير والتعبير.
- الذكاء الرياضي المنطقي، ويتمثل في القدرة على استخدام الأعداد بفاعلية في بعض المهن، وكيفية التفكير والحكم على الأمور بطريقة صحيحة، والحساسية للأنماط والعلاقات المنطقية والعديدية والجمل والكلمات وعلاقة السبب بالنتيجة والمجردات المرتبطة. ومن أنواع العمليات في الذكاء الرياضي المنطقي: التصنيف والتبويب والاستدلال والتقييم والسلاسل الطويلة من الاستنتاجات وهذا الذكاء له أهمية خاصة في عصر الكمبيوتر.
- الذكاء المكاني، ويتمثل في القدرة على إدراك العالم المكاني المرئي بطريقة صحيحة ثم القيام بتغيير في الاستجابة بناء على هذه الإدراكات الأولية للفرد ويتمثل أيضًا في الحساسية للألوان والخطوط والأشكال والأنماط والأماكن والعلاقات بين العناصر والتصور والتمثيل وتقديم أفكار مكانية، ولهذا الذكاء القدرة على تطوير الفيديو والاختراعات المرئية.
- الذكاء الحركي، ويتمثل في القدرة على استخدام الجسم في التعبير عن الأفكار والمشاعر، واستخدام الأدوات بمهارة. ويتضمن هذا الذكاء مهارات جسمانية محددة مثل التناسق والتوازن والتآزر والبراعة والقوة والمرونة والسرعة.
- الذكاء الموسيقي، ويتمثل في القدرة على الفهم والإدراك للتناغم والإيقاع الموسيقي، ودرجة النغم والتميز بين أنواع الآلات الموسيقية، وإدراك مكونات التعبيرات الموسيقية، ويتضمن القدرة على التحويل والتعبير عن

الأشكال الموسيقية والحساسية للإيقاع وطبقة الصوت والنعمة ولون النعمة في القطعة الموسيقية.

- الذكاء الاجتماعي، ويتمثل في القدرة على الفهم والتكيف الاجتماعي والاستجابة على نحو ملائم لكل الأمزجة والدوافع والرغبات لدى الأفراد، والقدرة على التفريق بين الطباع والمقاصد والدوافع والمشاعر بالنسبة للآخرين. ويتضمن ذلك الحساسية لتعبيرات الوجه والصوت والإيماءات والتمييز بين العديد من تلميحات الأفراد، والقدرة على الرد والاستجابة للتلميحات بفاعلية وبطريقة واقعية مثل إقناع الآخرين باتباع سلوك معين.
- الذكاء الداخلي أو الذاتي، ويتمثل في المعرفة الذاتية والقدرة على التصرف بتكيف أو بطريقة ملائمة والتمييز بين العواطف. ويتضمن هذا الذكاء تكوين صورة صحيحة عن النفس وإدراك الطباع الداخلية والمقاصد والدوافع والقدرة على ضبط النفس والإدراك الذاتي واحترام الذات. ويستمر الاهتمام بهذا النوع من الذكاء مع ازدياد تعقد المجتمعات التي تتطلب قدرة الفرد على الفهم الصحيح للذات ونمو القدرة على الاختيار.
- الذكاء الطبيعي، وهو الذي يسمح للبشر أن يلاحظوا ويميزوا ويقارنوا بين النباتات والحيوانات والأشياء الأخرى في الطبيعة، ويتم من خلال الجهاز العصبي وأن الجميع قادرون على القيام بهذه المهام.
- الذكاء الوجودي، وهو يعكس الاهتمام بكل ما يتعلق بالجو والفرد في إطار الوجود. والقادة يمثلون هذا النوع من الذكاء لأنهم يعطوننا إحساسًا بالفردية والتمييز.

إن الأسس التي تقوم عليها هذه الأنواع من الذكاء تتمثل في:

- وجود جزء من العقل مسئول عن هذا النوع أو ذاك من الذكاء، أى وجود علاقة بين الأداءات المرتبطة بهذا الذكاء والجهاز العصبي.

- وجود العلماء والعباقرة والحالات الاستثنائية، حيث إن تطور الحياة البشرية يكشف عن وجود هذه الأنواع المتعددة للذكاء الإنساني، وأظهر العلماء قدرات فائقة في نوع من أنواع الذكاء على حين تعمل أنواع الذكاء الأخرى لديهم بمستوى عادي.
- المسار التطوري لكل نوع من أنواع الذكاء، حيث إن لكل ذكاء مسارًا تطوريًا في حياة الفرد منذ ظهوره حتى الوصول إلى ذروته، وكذلك سرعته وتدرجه وأنشطته المرتبطة به.
- الجذور التاريخية لأنواع الذكاء المتعدد يؤكد وجودها تطور الإنسانية كما أن لكل عصر ذكائه، فالذكاء المكاني لصناعة الفيديو والسينما والرياضة له أهمية في عصر الكمبيوتر.
- لكل ذكاء مجموعة من العمليات المركزية تدفع الأنشطة المتعددة المرتبطة بهذا الذكاء كي تقوم بوظيفتها ومن ثم يظهر هذا الذكاء.
- القدرة على استخدام الرموز أحد مؤشرات السلوك الذكي، وكل نوع من أنواع الذكاء قابل للترميز أي التدوين في صورة رمزية خاصة.
- والجدير بالذكر أن المؤسسات التعليمية عليها أن تبني برامجها التعليمية وأنشطتها وبيئتها التعليمية / التعلمية على أساس جديد هو أن:
 - المتعلم يمتلك أنواعًا متعددة من الذكاء، وأن تلك الأنواع تعمل معًا بطريقة خاصة لدى كل متعلم على حدة. وأن المتعلم يقع بين نقطتين، حيث يكون متقدمًا في بعض أنواع الذكاء ومتواضعًا في أنواع أخرى ومتأخرًا في باقي أنواع الذكاء.
 - الأنواع المتعددة للذكاء تعمل معًا، وأنه لا يوجد ذكاء قائم بذاته في الحياة وأن المتعلم يستخدم أكثر من نوع من الذكاء في مواقف الحياة اليومية.

- تتنوع الطرق التي يعبر بها المتعلمون عن امتلاكهم للذكاء بأنواع، وأنه لا توجد مجموعة محددة من الخصائص التي عندما يمتلكها المتعلم يمكن اعتباره ذكياً في مجال ما، أى أن هناك تنوعاً وغنى في طرائق التعبير عن قدرات المتعلم في إطار كل نوع من أنواع الذكاء.
- المتعلمون يمتلكون مواهب متنوعة تظهر في صورة عدد من الأنشطة على فترات متعددة، وهناك صعوبة لتشخيص ذكاء الطفل المنوعة في الروضة.
- لكل نوع من أنواع الذكاء أنشطة تناسبه وتعبر عنه وتنميه.
- أطفال الروضة لا يتفاعلون مع دوافع الآخرين أو أنماط تفكيرهم، غير أنهم أظهروا حساسية ومسئولية نحو الآخرين.
- ضرورة إحداث التوازن بين نقاط القوة لدى الأطفال واحتياجاتهم، وبرامج الأطفال يفضل أن تبنى حول احتياجات الطفل الفعلية وذكاءاتهم المتعددة.
- جمع المعلومات الشاملة حول جوانب القوة المتوافرة لدى الطفل تساعد المعلم على توفير الأنشطة المناسبة، مع التعامل مع كل طفل على أنه متميز.
- كل نوع من الذكاء له مسار تطورى ولا تظهر كل أنواع الذكاء في مرحلة الروضة، ومن الصعب التنبؤ بأنواع الذكاء التي يمكن أن يبرع فيها الطفل. ومن الأفضل تقديم أنشطة متنوعة بتنوع أنواع الذكاء، حيث يكون التدريس حينئذ تدريسياً إيجابياً يساعد على دمج التلاميذ في مواقف التعلم، ورفع مستويات تحصيلهم.
- نظرية الذكاء المتعدد نموذج معرفي تصف الكيفية التي يستخدم بها المتعلمون ذكاءهم في حل مشكلاتهم.
- نظرية الذكاء المتعدد ليست مرتبطة بالحواس، ويمكن للمتعلم مكفوف البصر أن يكون لديه ذكاء مكاني، والأهم يمكن أن يكون لديه ذكاء موسيقى.

- يتضح من النظرية أن عدم ظهور ذكاء لدى المتعلم لا يعنى عدم تواجده ولكن يعنى عدم استثارته بالأنشطة التى تناسب إظهاره.
- تراكم المعلومات عن كل متعلم يساعد فى القدرة على التنبؤ وتشخيص جوانب الإجابة التى يمكن أن يبرع فيها الطفل فى المستقبل.

إن الاستعانة بمنظور (جاردنر) للذكاء المتعدد يسهم بفاعلية فى تصميم التدريس بمداخل متعددة، حيث يتم تقديم أنشطة متنوعة يتعامل معها المتعلم مع ما يتواءم مع ذكائه، وفى ذات الوقت تعكس تنوع الذكاءات. وإذا كان من السائد أن كل معلم ليس قادرًا على تصميم أنشطة تتواءم مع الذكاء المتعدد. إن المدرسة أو الجامعة الفعالة عليها أن تدرك أنه لا عائد تربوى ما لم تدعم بتدريس فعال كفاء وقادر على تحقيق نواتج التعلم المنشود. والتدريس فى سعيه لتحقيق هذه النواتج ليس له شكل ثابت محدد، فهو يختلف باختلاف ذكاءات المتعلمين، ومواقف التعلم، والتى تتحدد هى الأخرى بكل نوع من أنواع التعلم المطلوب ومحتواه وزمنه، كما تتحدد بفترة نمو المتعلم وخصائصه وإمكاناته، إضافة إلى عوامل ذاتية وبيئية مجتمعية. وكلها يسهم فى تشكيل نواتج التعلم الذى هو انعكاس طبيعى لعمليات التدريس وطبيعته ومساحات التفاعل والتكامل بين القدرات البشرية وإمكاناتهم العقلية من أجل بناء حياة إنسانية أفضل.

إننا نعيش مجتمعًا جديدًا هو مجتمع المعرفة ومجتمع التعلم. إنه عصر جديد يتصف بأنه عصر ثورة المعلومات وثورة الاتصالات نتيجة لتقدم علوم الحاسبات، والتكنولوجيا الرقمية، وانتشار شبكة المعلومات العنكبوتية العالمية. وهذا العصر بمعطياته يفرض تحديات على مسيرة تطوير التعليم والتعلم المتنامية، فالمعرفة ليست محدودة أو محددة أو ثابتة بل هى متسارعة فى النمو تتسم بالتعمق والتجدد والتنوع المتسارع. ومؤسساتنا التعليمية تعتمد بشكل واضح على تنويع مصادر التعليم والتعلم وتعمل على تعظيم استخدامها وتوظيفها فى حياة المتعلمين القدرة على تنمية

التفكير الناقد والتفكير المبدع، وحتى يمتلكوا مهارات التعلم الذاتى ومهارات القراءة للدراسة ومهارات استخدام المكتبة مركز مصادر التعلم.

إن الرؤية العصرية والمستقبلية للتعامل مع منظومة التعليم والتعلم والتي تساير أو يجب أن تسير متناغمة مع التقدم العلمى والتقنى المتسارع ترفض اعتماد العملية التعليمية على مصدر واحد للتعليم هو المعلم أو هو الكتاب المقرر باعتباره المصدر الوحيد للمعرفة الأمر الذى يؤثر فى اختيار طرائق التدريس وطبيعة الأنشطة التعليمية ونمط أساليب الامتحانات والتقييم، بل إن عليها أن تستخدم القنوات الإذاعية والمتلفزة الأرضية والفضائية وشبكة الإنترنت، ومراكز المعلومات والمراكز التعليمية والثقافية والمكتبات، وتوظف هذه المصادر المتنوعة والمتاحة للحصول على المعلومات واستخدامها بكفاءة لإثراء عمليات التعليم والتعلم وتوفير المناخ التعليمى المناسب حتى تصبح المدارس والجامعات قادرة على التعامل مع تكنولوجيا المعرفة والوسائط المتعددة وإدارتها بكفاءة وفاعلية.

وفوق ذلك فإن على مؤسسات التعليم أن تسعى نحو توعية المعلمين والمدرء وزيادة وعيهم وتنويرهم بأهمية تنوع مصادر المعرفة، وأهمية توظيفها فى العملية التعليمية، وتكوين اتجاهات إيجابية نحو تنوع مصادر المعرفة واعتبارها فلسفة لنسق التعليم فى الألفية الثالثة وصولاً إلى مستوى الجودة فى الأداء التعليمى. وهذا النسق التعليمى الجديد يفرض المدارس والجامعات أن تنوع مصادر المعرفة حتى تتسع، وتشمل:

- تزويد الكتاب المدرسى بتكليفات وأنشطة تساعد المتعلم فى تكوين مهارات التعلم الذاتى واستخدام مصادر أخرى للتعلم مع ضرورة تنوع الآراء والأفكار فى تناول القضية الواحدة وقبول رأى الآخر وتنوع الإجابات للسؤال الواحد، مع تحقيق الفكر التكاملى والوظيفى والناقد فى تقديم وحدات الكتاب ودروسه.

- تكوين مكتبات الفصول التى تتضمن الكتب العلمية المبسطة والمجلات المقدمة للأطفال والناشئة والمعاجم والموسوعات والإصدارات الحديثة والصحف اليومية، بالإضافة إلى البرمجيات من أقراص مرنة وأقراص مدجة وقواعد بيانات وأشرطة مسموعة ومرئية، وبرامج القنوات الإذاعية وأجهزة لخدمات الاتصال والبريد الإلكتروني والتعلم من بعد.
- إعداد برامج معلنه وموقوتة داخل المدارس لزيارات المتاحف والمراكز العلمية ونوادى العلوم والنوادى الثقافية والأماكن الأثرية والتاريخ المحلى والمؤسسات الإنتاجية والخدمية التى تقع فى محيط المدرسة.
- توظيف البرامج الإذاعية والتلفزيونية التعليمية داخل عمليتى التعليم والتعلم لإثراء عملية التدريس من خلال قضايا ومشكلات المجتمع وإمكانات الكاميرا المتنوعة، والاستفادة من قنوات التلفاز المتخصصة التى تثبت برامجها باستخدام القمر الصناعى والمقدمة لمراحل عمرية محددة ولمراحل تعليمية مختلفة، وما تقدمه مسجلا على أشرطة فيديو كاسيت وبرامج إذاعية مدرسية وما يقدمه مركز التطوير التكنولوجى من برمجيات.
- إثراء عمليتى التعليم والتقويم باستخدام الكتب والمجلات والسلاسل الثقافية من مواد مطبوعة يمكن للمعلم أن يشجع طلابه على استخدامها وإدخالها ضمن الأنشطة والتكليفات والواجبات المنزلية التى تثبت المهارات وتثري القدرات وتكون الاتجاهات وتوسع من مفهوم المنهج بإضافة الخبرات المتنوعة إليه سواء أكانت داخل المدرسة أم خارج المدرسة.
- تدريب المعلمين على فكرة استخدام مصادر المعرفة المتنوعة والسعى نحو تحقيق أهدافها والاستراتيجيات التدريسية التى يمكن استخدامها بحيث ينتقل المتعلم من تحصيل المعلومات الجاهزة المودعة فى الكتب المدرسية إلى التدريب على البحث والوصول بأنفسهم إلى مصادر المعرفة وجمعها وتصنيفها

وتوظيفها ونقدتها وبيان الرأى فيها باعتبارها مشكلات تتطلب النقاش والحوار وإبداء الرأى.

- تطوير برامج إعداد المعلمين حتى يكتسب خريجو كليات التربية المهارات والقدرات والاتجاهات اللازمة للتعامل الناجح مع التكنولوجيا المتقدمة ومصادر المعرفة المتنوعة، وحتى يمتلك معلمو المستقبل آليات الثقافة الكمبيوترية بديلا عن الثقافة الورقية للتعامل مع الفكر التربوى المتقدم ومتطلبات المدرسة الحديثة والصدقية.

- تحديث أنشطة التقويم والامتحانات والتي بدأ تطبيقها فى التعليم الابتدائى والتي تهتم بالتقويم الشامل والأصيل، والأخذ بفكر التقويم المستمر والمتنوع والذكاءات المتنوعة وملفات الإنجاز بهدف تنمية كل قدرات المتعلم ومهاراته وقيمه وأخلاقياته وسلوكه ومهاراته العلمية والفعلية. الأمر الذى يتطلب توفير البنية الأساسية لمصادر المعرفة فى المدرسة والتي توظف فى عمليتى التعليم والتقويم على حد سواء.

- الأخذ بالمعايير القومية العالمية فى تطوير بيئة التعلم داخل المدرسة بحيث توفر للطلاب مصادر متنوعة للمعرفة وآليات استخدام هذه المصادر فى عمليتى التعليم والتعلم، وتزويد المدرسة بالمكتبات الشاملة التى تجمع بين الثقافة الورقية والثقافة الكمبيوترية والمكتبات الإلكترونية شريطة أن تسود فى المدرسة استراتيجيات التعلم الذاتى وتحمل الطالب مسؤولية تعليم نفسه، وكذلك مفاهيم التعليم للحياة والتعلم مدى الحياة وهو ما يتفق مع مفهوم مجتمع التعلم الذى يتيح للمتعلم فرصا لتنمية المواهب والقدرات.

- تبنى الفهم الجديد للذكاء والذى يأخذ بالذكاءات المتعددة والتى تؤكد أن كل متعلم لديه نصيب من الذكاءات المتعددة، وأنه يمكن تنمية هذه الذكاءات والارتقاء بها إلى مستوى أفضل الأمر الذى يتطلب أن تبنى المدارس نموذجا

للتعلم يتمركز حول الفرد المتعلم، بحيث يصبح هدف العملية التعليمية هو تنمية أنواع الذكاءات لدى جميع المتعلمين بما يتفق وميولهم ومواهبهم واستعداداتهم.. وهنا لابد من الأخذ بمفهوم مصادر المعرفة المتعددة، حتى يتم تحقيقه متناغماً مع أنواع الذكاء المتعدد لدى المتعلمين، وتوفير المناخ الفعال المتسامح الحر المبهج لتوظيف مصادر التعلم والتكنولوجيا المتاحة ونشر هذه الثقافة بين كل العاملين داخل المدرسة، مع توفير فرص التعلم لقيام المتعلم بدور نشط وإيجابي للوصول إلى المعرفة من خلال البحث والاستقصاء وحل المشكلات والتعلم الذاتي النشط الدينامي والتعلم معاً، مع زيادة قدرات المتعلمين والمعلمين على استيعاب ثقافة التكنولوجيا المتقدمة ومصادر التعلم والتمكن من مهارات استخدامها، حتى تضيق الفجوة الرقمية بيننا وبين الدول المتقدمة تكنولوجيا، ولذلك توجب توفير البرمجيات وتحديث المكتبات لتناسب الدور الجديد المنوط بها، ولتحقيق تنمية المتعلمين والمعلمين معاً.

- التركيز على تنمية التفكير في توازن مع تنمية التحصيل، ذلك أن الاهتمام بتنمية المهارات العليا والخاصة بالتفكير من أهم متطلبات العصر لمواجهة تحديات المستقبل وحل مشكلاته وقضاياها وإشكالياته. إن طبيعة العصر والتكنولوجيا المتقدمة السائدة فيه والمهن الجديدة تتطلب توافر قدرات عقلية ومهارات الجودة والعمل معاً وإدارة الأزمات وامتلاك مهارات التفكير الناقد والتفكير الابتكاري، كما تتطلب التعامل المتقن لثقافة الكمبيوتر وشبكة المعلومات المتعددة، حتى يتمكن الإنسان إنسان الألفية الثالثة من أن يكون قادراً على تعلم كيف يتعلم ويصل إلى المعلومات بنفسه، شريطة أن يسلك سلوكاً أخلاقياً وحضارياً سليماً يحافظ على الهوية الذاتية والخصوصية الثقافية والنسق القيمي للمجتمع في دنيا السماوات المفتوحة والربث الإعلامي وثقافة عصر العولمة، مما يتطلب تربية وقائية وتربية استقلالية خلقية لمواجهة المشكلات

والتحديات، ولامتلاك مهارات الانتقاء والاختيار والتفاوض والحوار وفق إطار مرجعي إسلامي منفتح وإطار اجتماعي وثقافي وقيمي مقبول عالمياً.

خامساً - ملفات الإنجاز للتدريس والتقويم

إن إصلاح التقويم مدخل لإصلاح التعليم. وملفات الإنجاز بما تتميز به من إتاحة الفرص أمام المتعلم ليتعلم بنفسه، ويقوم نفسه بنفسه يمكن أن تكون آلية جدية لتحقيق أهداف التقويم الشامل والمتنوع والمستمر. ذلك أن ملفات الإنجاز هي مجموعة من النماذج والأعمال والأنشطة مما أنجزه المتعلم في فترة من الوقت توضح مدى تقدمه وإنجازه وتحصيله في مجالات متنوعة، ناهيك عن انطباعات المتعلم ومعايير الاختيار ومعايير الحكم على قيمة العمل. وقد حققت ملفات الإنجاز نجاحاً كبيراً في عملية التقويم في دول متقدمة تعليمياً، ثم أخذت طريقها إلى التعلم. وهي في ذلك حققت أهداف التعليم باعتبارها نظاماً لتدعيم الملفات وحظيت ملفات الإنجاز الفصلية التي تتضمن مقالات وأخباراً موجزة عن المشاريع ومواد يقدمها المعلومات ورؤساء فرق العمل والباحثون. وهي تقوم بوظيفة تبادل المعلومات بين المهتمين بملفات الإنجاز. واهتمت جامعة انديانا في الولايات المتحدة الأمريكية باستخدام ملفات الإنجاز في تحسين مهارات الطلاب، واستخدمتها كمستند في الجامعة والحصول على وظيفة. ولذلك فمن الخير لمؤسسات التعليم في الأمة العربية الإسلامية أن تكون اتجاهها إيجابياً نحو استخدام ملفات الإنجاز في التعليم والتقويم معاً، بغية تزويد المتعلم بالتغذية الراجعة، وتعزيز فكرة التقويم الذاتي، وتحديد نقاط القوة ونقاط الضعف لدى كل متعلم على حدة، والكشف عن صعوبات التعلم، والوقوف على قدرات المتعلم الحقيقية، وتوجيهه إلى المجالات والدراسات التي تناسب قدراته لإثبات الذات والإبداع.

إنه من المفيد تربوياً وتعليمياً أن نزود المهتمين بالاتجاهات الحديثة في التعليم والتقويم بزيادة واف عن ملفات الإنجاز. إنها عملية تجميع قصصية عن أعمال

المتعلمين تظهر جهد كل متعلم، ومدى تقدمه وإنجازاته، وتحصيله في مجال أو أكثر. ويجب أن يتضمن هذا التجميع مشاركات المتعلم في اختيار المحتوى ومعايير الاختيار، ومعايير الحكم على قيمة العمل وانطباعات المتعلم. والملف يحتوى على أعمال المتعلم وتقويمه لأوجه القوة وأوجه الضعف، وهو بالتالى يتيح فرصا لإعادة الفحص والتفكير والاختيار. ويمكن أن يقوم المتعلم باختيار العدد المطلوب من الأعمال بمساعدة المعلم.

واستخدام الملفات يتم بداية بمبادرة من المعلم بشرح الفكرة، ويعرض نماذج، ويتيح المجال للاستفسارات والعمل تحت الإشراف. وقد يتعلم المتعلم من أقرانه كيفية العمل بملفات الإنجاز ولا سيما إذا كان استخدام الملفات مألوفاً. وأدى تعدد مجالات استخدام ملفات الإنجاز إلى اتصافها بالمرونة، فهي تحتل التنوع والإبداع في التصميم والإجراءات وتناسب طبيعة المتعلمين وخصوصياتهم في سياقات معينة. ومع هذا فإن لها عموميات أو معالم عامة تشابه تقريبا في ملفات الإنجاز، وهى:

- أنها تجميعات تمثل أعمال الطلاب على فترات، ولكنها ليست مجرد تجميع مسحى لأعمالهم.
- أنها تمثل أهداف المنهج والتقويم للبرنامج المحدد، ولكنها لا تتضمن كل أهداف المنهج ونتائج التقويم.
- أن الملفات تتفق لتناسب الغرض النوعى المطلوب، وتكون متنوعة وتتم في سياقات مختلفة.
- أن الملفات تجمع على فترات من الوقت ليتسنى قياس الفروق والنمو من قبل المتعلمين أنفسهم وأولياء الأمور والإداريين والمعلمين.
- أن الملفات تتضمن انطباعات فكرية، أو تعليقات تعكس تأثير إنجازات المتعلم على نفسه، كما يراها هو تشجعه على تقويم عمله واستراتيجياته

للقيام بالأعمال المطلوبة. ويمكن من خلال هذه الانعكاسات أو الانطباعات أن ينمى المتعلم وعيه بما وراء المعرفة بسياقات ومواقف وبالعمليات التي استخدموها. كما يمكن أن يشجع التلاميذ للحكم على أعمالهم، وذلك من خلال انطباعاتهم أو بمقارنة أعمالهم.

إن ملفات الإنجاز وسائط تربوية داعمة، ذلك أن الملفات قامت ابتداء على فكرة التقويم غير التقليدي، ولكنها يمكن أن تمتد لتصبح أداة تربوية، وأن تمتد إلى المجال الإلكتروني. ومن الممكن أيضا أن يتضمن النمو الذاتى بكل من المعلم والمتعلم، ويمكن أن تزيد وتوسع بيئة الاستخدام لتخدم أكثر عمليات الاتصال والتعاون في البيئة التعليمية. وقد بدأت هذه التحولات انطلاقا من التأمل الذاتى والتغذية الراجعة من المعلمين، كما أنه من المستحيل الفصل بين التقويم في ملفات الإنجاز وأعمال التعليم والتعلم. فهي ذات ارتباطات تؤثر تأثيرا متبادلا.

وأظهرت تطبيقات ملفات إنجاز المتعلمين عدداً من المميزات التربوية، بالإضافة إلى عملية التقويم، فهي يمكن أن تتخذ من المتعلم محوراً، وهى تستطيع إنهاء التعلم والارتقاء به من خلال حل المشكلات والتأملات والتفكير الناقد، والمسئولية عن المتعلم، والمهارات في مجال معين والمعرفة. إن ملفات الإنجاز يمكن أن تكون تعليمية كما هى تقويمية. إن ذلك يدخل ملفات الإنجاز مضمار تعلم المعارف والمهارات، وهى تحتاج إلى تخطيط وبناء لتحقيق ذلك. وهذا الأمر يستوجب أن يفكر المعلمون فيما يجب أن يتعلمه المتعلمون، وما الذى يجب فعله لتحقيق ذلك، وكيف يمكن للمتعلم أن يظهر ذلك أو يعرضه، سواء أكان معرفة أو مهارة، كما أن ملفات الإنجاز يمكن أن تستخدم لتوفير نظام دائم أو بناء يمكن أن يرشد المعلمين في استقصاءاتهم التعليمية، ولا سيما عند استخدام الإنترنت، ولكنه يمكن أن يستخدم في البيئة التعليمية العادية، ويمكن أن يستخدم للتنمية المهنية للمعلمين، كما تعرض ملفات المعلمين على المتعلمين قبل الخدمة كي يستفيدوا منها.

إن ملفات الإنجاز تتكون من:

- إسهامات المتعلم في اختيار الموضوعات، ومن المعايير الخاصة بالاختيار، ومعايير الحكم على التعلم.
- شواهد تأملات المتعلم أو انطباعاته الفكرية عن أعماله ويلاحظ أن نماذج العمل التي توضع في الملف هي من اختيار المتعلم نفسه، كما أن الملف متاح للاطلاع من قبل المعلم وأولياء الأمور. ويمكن أن يستمر في التراكم عبر أكثر من سنة دراسية، وأن يستخدم لأكثر من غرض، كما أنه يفيد في: تشجيع التعلم ذاتيا، وبيان ما تم تعلمه، وتنمية التعلم فيما تم تعلمه، وإظهار مدى التقدم نحو النتائج المرجوة وسرعة هذا التقدم، وتوليد خطوط متقاطعة بين التعلم والتقويم، مما يوظف التقويم في التعلم، وتوفير طريقة للمتعلمين لتقدير أنفسهم كمتعلمين تقديرا ذاتيا، وتقديم فرص لنمو مساعدة الأقران بطريقة تبادلية.

إن ملفات الإنجاز تقوم على فكرة أن التعلم عملية بناء لا عملية امتصاص من الكتب والمعلمين. وجاء التقويم باستخدام ملفات الإنجاز معتمدا على التعلم القائم على المشكلات والتفكير التأملی. ولتنمية شعور المتعلمين بالتحكم في تعلمهم يجب أن يساعد المعلمون المتعلمين ليكونوا متعلمين ذاتي التنظيم. وتشير التجارب العالمية الخاصة بملفات الإنجاز إمكانية نجاح المتعلم في مواقف متعددة منفصلة. إن ملفات الإنجاز مصدر غني بالمعلومات من الوسائل التقليدية للتقويم، فقد ساعدت ملفات الإنجاز في الاعتماد على الذات في تنظيم العمل، وزيادة القدرات الشخصية، وفي التخطيط والتنفيذ والتقويم. كما أنها تعطي صورة واقعية فعلية عن التعلم التعاوني كعمليات، وليس فقط كنتائج نهائية ودرجات، كما أنها توفر معايير لا تفيد فقط في الحكم على أعمال المتعلمين، ولكنها توجه جهودهم وتنظم أعمالهم، وتحسن التعليم والتعلم والتقويم والمساءلة.

وقد أدى الاهتمام بملفات الإنجاز إلى إصدار مجلة فصلية تسمى (أخبار ملفات الإنجاز الفصلية) تتضمن مقالات موجزة عن المشاريع ذات العلاقة، وتلخيص الخبرات والموارد التي يقدمها المعلمون ورؤساء فرق العمل والباحثون عن المشاريع المحلية وتقوم بوظيفة تبادل المعلومات بين المهتمين بملفات الإنجاز. وتتعاون الجامعات والمدارس في ولاية بتسبرج وجامعة هارفارد ومؤسسة خدمات الامتحانات التربوية في استخدام الملفات، وهي تتضمن ملاحظات ذاتية وتقويم خارجي في مجالات متنوعة، وتستخدم للمحاسبية مع أدوات أخرى للمعلومات عن إنجاز المتعلمين على أساس أفضل المشاريع الطلابية. إن المعلمين والإداريين يظهرون اهتماماً متزايداً لأن يكونوا جزءاً من الموجة الجديدة للتقويم في الصف، والتي تتضمن المواقف الفعلية، والمقاييس القائمة على الأداء المرغوب من خلال مواقف حقيقية حياتية. وتستخدم ملفات الإنجاز كوسيلة لتقرير الصلاحية للتخرج. ففي مدرسة سنترال بارك إيست الثانوية على الطلاب أن يتموا (١٤) ملفاً تعرض كفايتهم وأدائهم في مجالات العلوم والتكنولوجيا والأخلاقيات والقضايا الاجتماعية وخدمة المجتمع والتاريخ. إن من فوائد استخدام ملف الإنجاز زيادة المشاركة الناتجة عن تحمل المسؤولية في عملية التعلم، وشعور التلميذ بالتقدم الذي يحققه يزيده ثقة في نفسه مما يساعده على تحقيق ذاته، وشعوره بأهمية التكامل بين المواد الدراسية، والتفاعل المثمر بين المعلم والتلاميذ وبين التلاميذ أنفسهم، وتنمية الاتجاهات الإيجابية نحو دراسة مادة ما، بالإضافة إلى تزويد المتعلمين بالتغذية الراجعة، وتعزيز فكرة التقويم الذاتي، والعمل على تحديد نقاط القوة، ونقاط الضعف.

وهناك صعوبات تعترض استخدام ملفات الإنجاز تتوافر بدرجة أو أخرى في التطبيقات الميدانية، من أهمها:

- صعوبة قيام المتعلمين ببعض الأعمال التي تتطلبها ملفات الإنجاز بسبب عدم إعدادهم إعداداً جيداً، أو قلة الفرص المتاحة للعمل به، وضعف الروابط بين

المفاهيم أو المهارات والإجراءات المتضمنة مما يجعل التقويم غير ذى معنى وغير عادل، ولا سيما إذا لم تطبق معارفهم فى حل مشكلات جديدة أو مشكلات مفتوحة النهاية، أو المشاركة فى أعمال جماعية مع طلاب آخرين سيؤدون بكفاءة أقل مما لو توافرت. ويمكن معالجة ذلك بالتدريب الكافى، والتأكد من فهم المتعلمين لما يقومون به من أعمال.

- اختلاف المتعلمين فى الأعمال التى يقومون بها يصعب المقارنة بينهم. ويمكن معالجة ذلك بتطوير معايير عامة تصلح لموضوعات مفتوحة، وتدريب المقدرين على استخدامها، وتوفير معينات يمكن للمتعلمين القيام بها كجزء من ملفات الإنجاز، مع مشاركة أكثر من مقدر للملف الواحد، واستخدامك وسائل أخرى غير الملفات كمصدر للحكم على أعمال المتعلمين.
- صعوبة التقدير الصحيح لمستوى المهارات، فهى تحتاج الدقة فى التسجيل وإلى جهد من المعلمين فى عملية التقدير، كما أنها مكلفة. ولتخفيف هذه المشكلة يمكن الاستعانة بطلاب متفوقين.
- اختلاف معايير المعلمين لتقدير العمل فى الملفات، وربما يترتب على ذلك الحصول على تقديرات مختلفة للملف الواحد، وعلاج ذلك التدريب للمقدرين بل ومشاركتهم فى إعداد المعايير وتحديد مفهوماتها.
- اختلاف إرشادات المعلمين والنقد والتقاد، سواء أكانوا معلمين أو زملاء أو إخوة أو أهل. ويعالج ذلك بتباين مبررات التقديرات ومعايير النقد.
- تحديد عدد الملفات والأعمال الكافية للحكم على أعمال مختلفة أو غير متشابهة ويعالج ذلك بعدم الاعتماد عليها منفردة، كما أن هناك قناعة واسعة الانتشار بأن عشرة أعمال تعد مناسبة، وأن العمل فى كل مرة يمكن أن يحدد له عشر دقائق.

- عزوف بعض المعلمين عن استخدام الملفات وكذلك الطلاب. ولعل دافعية المعلمين للعمل باستخدام ملفات الإنجاز تؤثر بالزيادة والنقصان على دافعية معلمين آخرين من زملائهم وطلاب من طلابهم. ويعالج ذلك بأن تستخدم مع المعلمين أنفسهم خلال دورات التدريب والتجريب.
- مقاومة الطلاب والمعلمين وبعض الإداريين لاستخدام الملفات لما قد يحتاجه من وقت، ولعدم الألفة به ويتم تلافي ذلك بتفهمهم فكرة الملفات وعملها.
- اختلاف الملفات وضعف إمكانية مقارنتها، واختلاف أشكال الملفات مع كل تطبيق ومع كل معلم. ويعالج ذلك بالاهتمام بالخصائص النمطية التي ترتبط بطابع الاهتمام والمثابة والجد الشخصي لدى الطلاب، ومقدار التفكير المتضمن وحل المشكلات.

إن إعداد ملفات الإنجاز واستخدامها يتم من خلال: تحديد أهداف ومحتوى الملف، تصميم برنامج التقويم باستخدام ملفات الإنجاز، تصميم معايير تقدير الدرجات ومعايير الأداء، بيان الأعمال التي تفي بالمعايير وأهداف المنهج، ويمكن الاتفاق عليها في المنطقة التعليمية، تجريبها في أحد المواقع كدراسة تمهيدية ولتوفير فرصة تدريب المشاركين وتحليل النتائج، تطبيقها في المواقع كلها إذا ثبت أن التجريب ناجح، تدريب المعلمين على التقدير والتصحيح، إنشاء خطوط عريضة للإداريين كالوقت والمكان والطريقة، تقييم أو تقدير الملفات، بيان النتائج، تقييم البرنامج.

أما مكونات ملفات الإنجاز فهي:

- سيرة أعمال الطالب: وتتضمن ما سبق للطلاب من أعمال ذات علاقة بالموضوع مثل كتابات سابقة أو درجات حصل عليها أو مسابقات شارك فيها.
- أعمال متنوعة للطالب: وتتضمن أعمالاً لغوية أو مواد دراسية.

- انطباعات الطالب: وتتضمن آراءه وارتباطها بالأهداف أو نقده لنفسه.
- وأما إدارة العمل بملفات الإنجاز، فإنها تتلخص في أن:
 - يطلب المعلم من المتعلمين الحصول على ملفات، ووضع صفحة بيانات للمدخلات المتضمنة، ومواعيد تسليم الأعمال المطلوبة، وتوضع هذه الصفحة في بداية الملف.
 - يناقش المعلم الطلاب في ملفات إنجازهم: أغراضه، قواعده، إجراءاته في بداية العمل بها، ويوجههم خلال العمل من حين إلى آخر مع متابعة مدى التزام الطلاب بالتوجيهات.
 - يرتب المعلم جلسات استماع للطلاب للمتابعة والتدقيق تساعد الطلاب على تقويم أعمالهم، والتعرف على إنجازاتهم، وتحديد مواعيد الجلسات بدقة، بحيث يسهل الانتقال من عمل إلى آخر بسهولة ويسر.
 - ويوضح المعلم جيدا لكل الطلاب ما يلزم عمله، ويذكرهم بكيفية التقدير للملفات: هل توضع درجة لكل موضوع تم اختياره؟ هل توضع ملاحظات على الأخطاء؟
 - يتيح المعلم الفرص أمام الطلاب لعرض ملفاتهم، ويمكن عمل مسابقة لأفضل ملف به إبداع في التصميم.
 - يقوم بتقويم الملف المعلم والمشرف التربوي والباحثون ومعلم آخر من المدرسة غير معلم الفصل أو المادة.
 - يتم تدريب المعلمين على الآلية التي يتم بها وضع الدرجات والعلاقات لملفات الإنجاز، حيث توضع العلامات في ضوء المهارات المحددة بواقع خمس علامات لكل مهارة، ويكون تقدير المهارة حسب مستوى الإتقان من خمس درجات إلى درجة.

إن عرض ملفات الإنجاز لتطوير التقويم والامتحانات دعوة إلى المعنيين بالتقويم والامتحانات، بدءاً من المعلمين والموجهين والمدراء والآباء، ووصولاً إلى المراكز التربوية المعنية بتقويم التعليم والتقويم والمتعلمين والمعلمين على حد سواء في مدارسنا وجامعاتنا على امتداد الأرض العربية المباركة.